تقديم مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ لمحمد بن أحمد الناصري الملقب بأبي راس*

أ.بكاري عبد القادر
جامعة ابن خلدون – تيارت

مقدمة

أنكب كثير من الباحثين من مسلمين ومستشرقين، على دراسة الثقافة الجزائرية، منذ نشأتها إلى نمو نضجها، ثم إلى ركودها وانحطاطها، فأوضحوا كثيرا من الغموض الذي كان سائدا في الأذهان، وبددوا العديد من الاتهامات الباطلة، وفندوا الأكاذيب والأحكام المسبقة التي تحط من شأن الجزائريين وحضارتهم، وتنقص من قيمتهم، ومن مدى الأثر الذي كان لهم في ازدهار الحضارة الإنسانية.

في الحقيقة إن المطلع على تاريخ الجزائر الثقافي إبان الفترة العثمانية خاصة أواخر عهدها بالجزائر، سيجد الكثير من الشخصيات الفكرية والعلمية والأدبية التي ساهمت في إثراء الحركة الثقافية، وخلفت تراثا هاما أنكب عليه الدارسون فيما بعد. ورغم أنه لم يكن هناك اهتمام بالعلم والعلماء من قبل السلطة العثمانية، إلا انه كان هناك رجال كرسوا حياتهم، وأفنوا عمرهم في العلم، ومن بين هؤلاء الرجال، شيخ الراشدية أبو راس الناصري الملقب بالحافظ.

يعتبر الحديث عن أبي راس الناصري جزءا لا يتجزأ من تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني، وهو الذي كان على رأس المؤرخين الجزائريين إنتاجا وإدراكا لأبعاد الدراسة التاريخية، ويعتبر

من المكثرين في التأليف، حيث تجاوز إنتاجه الستين مؤلف والتي لا زال العديد منها مجهولا، لم يبرز للوجود وذلك لعدم إقبال المؤرخين والباحثين على دراستها وتحقيقها .و رغم كتابات بعض المؤرخين إلا أن أثاره الغزيرة مازال أغلبها مخطوط في المكتبات والزوايا، وحتى عند بعض الخواص في طريق الضياع والنسيان.

ولأجل ذلك جاء هذا المقال لتقديم مخطوط "زهر الشماريخ في علم التاريخ "محورا لهذه الدراسة محاولين التعريف برائد الحركة الفكرية، وبمجدد الحياة الثقافية خلال القرن الثالث عشر الهجري بالجزائر.

و لذلك قبل أن أبدأ الحديث عن المخطوط يحسن بي أن أقدم له بالحديث عن صاحبه، حياته، مؤلفاته، أثاره، بالإضافة إلى مكانته بين علماء عصره والقدماء، ثم أركز على أهم محتويات المخطوط.

- اسمه ونسبه

لعل ما يذكره أبو راس عن نفسه في سيرته "فتح الإله ومنته "يعتبر أكبر مرجع، فهو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل، وكنيته بأبي الطاهر كما يؤخذ ذلك من كلامه[1] وكلام تلاميذه، وقيل إنه اشتهر بأبي راس لضخامة رأسه، أو لكثرة وسعة معلوماته وسرعة حفظه .

إن أبا راس، قد ضبط اسمه بالناصر، كما يذكر ذلك في المخطوط – زهر الشماريخ في علم التاريخ –فقال :"أما بعد فيقول المذنب القاصر محمد أبو راس بن الناصر "[2]، وفي موضع أخر يقول:"قال أبو الفضل محي الدين محمد أبو راس بن الناصر هذا ما تيسر لي جمعه من أخبار الأمم القديمة" [3]، في حين يذكر اسمه الناصري في مواضع

أخرى حيث قال :"و لهذا القطب نسبتنا الناصرية وعمدتنا الهاصرية [4]، يقصد بذلك جده الرابع وهو الناصر، وقال عن نفسه وهو بصدد ذكر من كان من العلماء يفتي بالمذاهب الأربعة" ومؤلف هذا الكتاب محمد أبو راس الناصري وفقه الله [5]، بل إنه يسمى أحد شروحه الثلاثة على المقامات الحريرية "بالفتوحات الناصرية بمفتاح العلوم الحريرية"، وظل العلماء يصفونه بذلك، ومنهم محمد الحنفاوي في كتابه "تعريف الخلف برجال السلف "[6].

- مولده ونشأته

ولد أبو راس الناصري بمنطقة تقع بين جبل كرسوط وهونت بقلعة بني راشد جنوب مدينة معسكر، بالناحية الغربية للوطن الجزائري عام 1150هـ /1737م أي في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وفي هذا يقول أبو راس عن مولده :"ولما ولدت بالموضع المار حملتني أمي ووالدي إلى الشيخ الصالح، الولي الذي كاد أن يكون كالجيلي شيخ بعض شيوخي، الشيخ علي بن موسى اللبوخي أحد صلحاء أرض اليعقوبية، فبارك علي، وأخبر بغيب خوارق وعادات تكون لي مودات من علم وعمل وصلاح وغنى وحفظ وإصلاح وشيخ طلبة ولفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف"[7].

أن المتأمل في الترجمة الذاتية التي كتبها أبو راس عن نفسه، يقف على أحداث كبيرة وكثيرة، ميزت حياته طفلا وشابا وشيخا، حتى وإن تشابهت في العديد من المحطات والوقائع مع سير علماء ومؤرخين آخرين كالمؤرخ المصري السيوطي، والكاتب الروسي تولستوي، إلا أنها سجلت وقفات ميزت حياة الرجل من مولده إلى وفاته، وأصبحت من خصوصيات أبي راس الناصري.

نشأ أبو راس يتيما، فقد والدته وهو طفل صغير بسهل متيجة، فأنقلب والده إلى مجاجة، حيث تزوج عدة نساء، غير أن أبا راس لم يرض بالأوضاع الجديدة، فراح ينفر من زوجات أبيه إلى أن توفي والده بأم الدروع. بوفاة أبيه تبدأ المعاناة الحقيقية وهو لم يتجاوز سن الثامنة من عمره، فلم يجد من يكفله إلا أخاه الأكبر الذي رجع به إلى المغرب، يقصد بذلك الجهة الغربية للوطن الجزائري. وقد قاسى أبو راس في هده المرحلة من حياته الفقر المدقع، وقد شبه وضعه في هذه المرحلة بوضع الشيخ زكريا الأنصاري الذي كان لا يأكل إلا مما يطرح في القمامات وعلى الأبواب.وظل على ذلك الحال، حتى عندما عاد إلى معسكر بعد ثلاث سنوات قضاها في مازونة، قال عن ذلك:"لما انصرفت من مازونة، وقدمت إلى معسكر ما معي شيء من المال ولا غيره سوى معرفة الفقه وحده"[8].

- وفاته

إذا كان المؤرخون قد اختلفوا حول سنة ميلاده، فإنهم يتفقون على سنة وفاته، فقد توفي يوم الأربعاء الخامس عشر من شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف هجرية الموافق ل الثامن والعشرين أبريل سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة وألف عن عمر يناهز التسعين سنة، يرجح أنه توفي بمرض الطاعون الذي ضرب المنطقة في ذلك الوقت، حيث يذكر صاحب كتاب أنيس الغريب قوله :"مات حافظ العصر أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر الراشدي المعسكري بوباء الطاعون [9].

- مكانته بين علماء عصره والقدماء

ـدرس أبو راس وأفاد، ورفع منار العلم داخل الوطن وخارجه، فقد قال عنه شيخه عبد القادر بن السنوسي مذيلا على تقريظه لشرح

دلائل الخيرات :"العلامة الفقيه، البياني، اللغوي، النحوي، المؤرخ، المحدث، قاضي القضاة بالراشدية[10].

انتقل أبو راس من المحلية إلي العالمية ومن حافظ منطقة الراشدية والجزائر إلي حافظ يعرفه العلماء والشيوخ في مغارب الدول العربية الإسلامية ومشارقها، وعليه يذكر أبو راس بعد عزله من القضاء عام 1211هـ/1797م أنه إنتقل إلى فاس التي يصفها ب:"محل العلم والإيناس والتقريب والتبعيد وهي قبة الإسلام والسلم والسلام، ينبع العلم من صدور أهل العرفان كنبع مائها من الجدران "[11]، انه التقى بالعالمين الجليلين الشيخ الطيب بن كيران، والشيخ عبد القادر بن شقرون، الذي له الشهرة التامة بالمغرب الأقصى، فلقبوه بالحافظ.

- مؤلفاته وآثاره

إن طريقة الكتابة عند أبي راس الناصري مبنية على الإستحضار والإستدلال بالملائمات، يستعمل إطلاعه العلمي الذي يستحضر فيه أعلام العلماء، والعلم الذي اشتهروا به، ويستعمل فيه حمولته اللغوية التي يستحضر فيها المترادفات والمشتقات والمتجانسات، لأنه لم يكن حافظا فقط ولا فاهما فحسب، بل جمع بين الحفظ والفهم، ولا ريب أنها طريقة أغلب الحفاظ والموسوعيين القدماء كالجاحظ والسيوطي وأحمد المقري وغيرهم[12].

كتب أبوراس في كل علوم عصره، كعلوم القرآن والتفسير والقراءات والحديث والفقه والتوحيد والتصوف والنحو واللغة والبلاغة والعروض والمنطق والأصول والتراجم والأنساب والتاريخ بدرجة أكثر، كما نظم الشعر. بيد أن هذا التوسع في العلوم يجمع بين التآليف

الأصلية من وضعه، والشروح والتعاليق على كتب وقصائد له أو لغيره[13].

ذكر أبو راس تأليفه في كتابه "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "أنها بلغت أزيد من تسعين كتابا، قال عنه بعض المستشرقين إنه"من أنشط كتاب المغرب في ذلك الوقت وأحفلهم إنتاجا، وبلغت مجموع تصانيفه في مختلف العلوم مائة وأربعين مصنفا "[14]، وقال عنه تلميذه أبو حامد المشرفي "إن تأليف شيخه أبو راس أوشكت، أن تزيد على عدد أيامه، فقد ألف في سائر العلوم، فهو أشبه بأسد الفرات في غزارة علمه وإطلاعه على المذهب المالكي"[15].

- وصف عام للمخطوط

تحتوي النسخة على مائتين وأربع وعشرين (224)ورقة ذات وجه واحد فقط، ولا يوجد بها توحيد لعدد الأسطر، بمعنى أن مسطرتها غير منتظمة، ولكن عموما يتراوح عدد الأسطر في كل صفحة مابين تسعة عشر وإثنان وعشرين، باستثناء الورقتين الأولى والأخيرة من المخطوط.

فالورقة الأولى تبدأ بعبارة :(الحمد لله وحده) وفيها إشارة إلى من تملك المخطوط، مع ذكر السنة وعنوان المخطوط في جهتها اليمنى، أما في الجهة اليسرى من نفس الورقة ففيها إشارة إلى من أستعار النسخة، مع ذكر سنة الإستعارة وكل ذلك في بضعة أسطر .أما الورقة الأخيرة فجاءت في شكل دعاء ختامي لناقل المخطوط ولمن كان سببا في كتابته ولمؤلفه ولجميع المؤمنين، مع ذكر إسم الكاتب والتاريخ .كما أنه لا يوجد توحيد لعدد الكلمات في السطور، والتي تتراوح مابين إحدى عشر وثلاثة عشر كلمة في كل سطر.

إن الخط[16]، الذي كتبت به النسخة مغربي واضح ومقروء، بالقواعد الإملائية القديمة، حيث ينقط الفاء بنقطة من تحت والقاف بنقطة من فوق. وعلى هامش بعض الصفحات تصويبات وتصحيحات لبعض الكلمات ويبدو أنها من عمل الناسخ مثل كلمة :أزواجهم (زوجاتهم)ص 29 س 6- وكلمة مسكنهم (مساكنهم)ص 30 س 11- وكلمة أغطشش (اغشطش) ص54 س 12 وكلمة إستحفل بكلمة إستفحل ص 85 س 10.كل صفحات النسخة مكتوب في أعلاها عبارة "الحمد لله وحده اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم عليه" وفي أخر كل صفحة، كلمة تدل على أول كلمة من الصفحة الموالية، وهي دلالة على تتابع النص وذلك محل الترقيم العادي للأوراق .النسخة مكتوبة بمداد أسود، بينما العناوين مكتوبة بالألوان الأحمر والأصفر والأزرق، مع وجود تنقيط بين الجمل خاصة في الأوراق الأولى من المخطوط. كما تستعمل الألوان عند بداية الجملة وبخط كبير مثل: أما بعد فيقول المذنب ص3، وأعلم ص4، ومن الملوك قبل الطوفان ص7، وعند كتابة الآيات القرآنية مثل: قال تعالى:" أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم" ص4. بالإضافة إلى إستعمال الألوان عند كتابة أسماء الأعلام مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ص5، والطبري ص75، وابن خلدون ص14، وعند ذكر الشعوب والأمم التي يتناولها بالدراسة مثل العمالقة ص17، والأماكن والمدن مثل حضرموت ص18، أو حتى عند ذكر المصادر التي إعتمد عليها مثل كتاب:" نيل الإرب في فضل العرب من حسب ونسب" لإبن قتيبة ص175، وكتاب:"وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان" لإبن خلكان ص198.

ومما يجدر ذكره، أن كل صفحات المخطوط موجودة داخل إطار بالألوان، كما أن العناوين هي الأخرى مكتوبة بالألوان وداخل إطار ملون ومميز(خط غليظ).

يظهر من الورقة الأولى، أن المخطوط ملك للسيد عبد القادر ابن الموفق بعد شراءه من السيد عبد القادر بن الطاهر سنة1304هـ/1887م، بعدما كان استعاره السيد الطاهر بن محمد بن الطاهر من مالكه، والعبارة التالية تشهد على ذلك:"الحمد لله وحده استعرت هذا المجلد من مالكه السيد الطاهر ابن عمر وحين نقضي الغرض منه نرده له إن شاء الله، كنت مقيدا خوف الموت والنبأ بتاريخ ثاني ربيع1282هـ/1865م[17].

أما الورقة الثانية فهي على شكل مربعات، مكتوب بداخلها عبارة البسملة والصلاة على سيدنا محمد وآله، كما كتبت عبارة" الحمد لله الذي لا يزول على تواريخ الدهور ولا يدون ولا لمشيئته وإرادته اضمحلال ولا عدول"[18].

والصفحة الأخيرة جاءت في شكل دعاء ختامي داخل مثلث، ويبقى أن نشير إلى أن النسخة ليست بخط المؤلف، وإنما هي منسوخة، وان نصها ليس مشكولا.

-توثيق نسبة المخطوط إلى مؤلفه

من المسائل الهامة والضرورية التي ينبغي أن يشتغل بها الباحث قبل أي كلام عما في المخطوط من محتويات، هي إثبات نسبة الكتاب إلى مؤلفه، ولذلك يجدر بنا أن نقدم الأدلة التي تثبت ذلك. فمن هذا الجانب لم يترك لنا الشيخ أبو راس الناصري مجالا للبحث عن اسم كتابه، وعن نسبته إليه، فقد ذكر في الصفحة الثالثة من المخطوط

قوله:"أما بعد فيقول المذنب القاصر محمد أبو راس بن الناصر"، وهذه العبارة تكررت في غير ماألف أبو راس، فقد ذكرها في مقدمة كتابه" الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى"[19]، كما ذكرها في مقدمة شرحه لغوثية أبي مهدي عيسى بن موسى، فقال:" أما بعد فيقول المقل القاصر محمد أبو راس بن الناصر[20]، وأسلوبه فيها شبيه بأسلوبه في باقي المؤلفات.

أيضا هناك إشارة إلى عنوان الكتاب في الصفحة الرابعة بقوله:" وإني بعون الله أؤلف تاريخا يطلع في سماء الأخبار له عطارد أو مريخا وبالله المستعان وعليه في مصاعب الأمور التكلان وسميته" زهر الشماريخ في علم التاريخ". كذلك من الإشارات الواردة في المخطوط والتي تثبت نسبته إلى أبي راس قوله:"هذا ما لخصناه ونقحناه وحررناه وهذبناه وبيناه وزبر ناه من أخبار ما أطلعنا عليه من الأمم القديمة..." إلى أن يقول:" تأليف جمع بحمد الله ما لم أسبق إليه ولا عرج أحد من المؤرخين عليه[21].

وإن كانت كل هذه الإشارات من المؤلف في المخطوط قاطعة دالة، تثبت نسبة المخطوط إلى مؤلفه، فإنه يتحتم علينا أن نشير إلى المصادر والمراجع التي أجمعت على نسبة مخطوط"زهر الشماريخ في علم التاريخ" إلى أبي راس ومنها: كتاب– فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته- لأبي راس والذي حققه محمد بن عبد الكريم، في الباب الخامس منه والمسمى" بالعسجد والإبريز في عدة ماألفت بين بسيط ووسيط ووجيز" حيث يقول: ومنها كتاب زهر الشماريخ في علم التاريخ، حيث تكلمت فيه مع ابن خلدون وغير[22]، وكذلك كتاب – حاشية رياض النزهة على نسمات رياح الجنة – يقول صاحبه الشيخ بالهاشمي

بن بكار:" وبلغت مؤلفاته نحو مائة وأثنين وثلاثين تأليفا، وقد وقفت على بعضها منها كتابه"زهر الشماريخ في علم التاريخ"[23].

ومما لاشك فيه، أن معظم المؤرخين الجزائريين والمختصين بالبحث والدراسة حول تراث أبي راس الناصري، أجمعوا على نسبة المخطوط إلى مؤلفه، ولعل القائمة التي نشرت في العديد من المراجع والمقالات لمؤلفات الشيخ أبي راس تثبت ذلك[24].

أما عن زمن تأليف المخطوط فلا يوجد تاريخ محدد يذكره صاحبه، ولكن يبدو من خلال بعض الإشارات في نص المخطوط، أنه ألفه في أواخر حياته، والأكيد أنه بعد سنة1227هـ/1812م، وهي سنة رجوعه من حجته الثانية.

من بين هذه الإشارات التي تكررت في غير ما مرة في المخطوط قوله:" وقد زرنا قبره بالقدس من الجهة الغربية سنة سبع وعشرين ومائتين وألف، ونفس الإشارات تتكرر في صفحات 104-105[25].

- **عنوان الكتاب:** يعد العنوان من أشد عناصر النص إثارة، ذلك أنه أول ما يواجهنا من الكتاب عنوانه، إنه الاسم المميز له، بل يبدو وكأنه النص يتكون ويتشكل من وحول العنوان، ليتحول بدوره إلى نص، باختصار إنه نص ما قبل النص، أو نص مضغوط[26].ولذلك تجدر بنا الإشارة إلى البحث حول ماهية عنوان" زهر الشماريخ في علم التاريخ" الذي عنون به أبو راس الناصري كتابه، وما هي دلالته ورمزيته؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات نورد ما يلي:

شماريخ: م شمراخ معناه العذق عليه بسر أو عنب وشمرخ العذق أي خوط شماريخ.

الشمروخ: ج شماريخ، هو غصن دقيق عليه رخص ينبت في أعلى الغصن الغليظ، وقد يكون بمعنى رأس الجبل وأعالي السحاب.

الزهرة: (فلك) من الكواكب السيارة، وهي الشديدة اللمعان، تكزن تارة نجمة الصبح وطورا نجمة المساء، كانت معبودة بعض العرب بالشام والعراق ويسمونها العزى، وعند الأقدمين آلهة الجمال.

الأزهران: الشمس والقمر لنورهما: والزهر وان هما سورتا البقرة وآل عمران من القران الكريم [27].

ولعل ما تستنتجه من ذلك، أن المعنى الذي أراده أبو راس من عنوانه هو: سراج منير في سماء الأخبار، يلتقي مع ما ذكره في قوله "وإني بعون الله أؤلف تاريخا يطلع في سماء الأخبار عطارد أو مريخا وسميته زهر الشماريخ في علم التاريخ"[28].

- محتويات المخطوط

ذكر أبو راس في مقدمة كتابه "زهر الشماريخ في علم التاريخ " الأسباب الضمنية التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب، ومنها الإهمال وعدم العناية بعلم التاريخ، حيث يقول:"وأن النسب والتاريخ ضعفا في هذا الزمان وأند رسا، فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع اختلافا كثيرا في الأمة الواحدة لاختلاط الأنساب واختلاف المذاهب وتباين الدعاوي "[29].

لقد ألف أبو راس في كل علوم عصره تقريبا، غير أن معظم مؤلفاته في علم التاريخ، والتي بلغت أربعا وثلاثين كتابا، كما أن موضوعات الأخبار والأنساب والتراجم نالت القسط الأوفر والأكبر في كتاباته، وإن كان مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ الذي نحن بصدد دراسته، يدور حول موضوعين رئيسيين وهما: علم التاريخ والأنساب .

وما يلاحظ على مخطوط أبي راس أنه بدأه **بتمهيد** يشير من خلاله إلى ضرورة معرفة أخبار الأمم السابقة، فيقول: "أن أخبار الأوائل ومعرفة أجناس الناس والقبائل من أهم ما يعتني به ويدخر"[30]، كما يشير إلى الإطار الزماني لمحتوى مؤلفه، فيحدده من بدء الخليقة إلى بعثة خاتم النبيئين، وما يذكره من أخبار وأحداث بعد هذا التاريخ إلا على طريق الانجرار كما يدعي.

ولعل ما يبرز لنا في هذا التمهيد، هو الاعتماد على القصص القرآني فيقول:"إن ما في القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم مجيد من القصص ما يذهل الألباب ويخجل منه البحر العباب، على أن ما للآخبريين قشر وما في القرآن اللباب[31].

أما المقدمة، فيخصصها لتعريف علم التاريخ وضرورة الاهتمام به، لأنه ضعف في زمانه وأندرس على حد قول أبي راس، وشهادة حسين الورتلاني صاحب كتاب– نزهة الأنظار – تؤكد قلة العناية بعلم التاريخ قائلا:" إن الاهتمام بالتاريخ أمر مضحك لا يدرسه أهل الجد والدين، بل هو عند البعض ضد الدين والأخلاق، فعلم التاريخ منعدم فيهم وساقط عندهم، يحسبونه كالاستهزاء واشتغال بما لا يعني، فترى المتوجه منهم إلى الله يرى الكلام فيه مسقطا من عين الله تعالى.....ليس عندهم من علم يذكر، إذ لا طائل فيه أصل[32]. كما نجد أبو القاسم سعد الله يعزو إهمال العلماء بالتاريخ إلى سيطرة التصوف والروح الدينية السلبية، لأن فن التاريخ والأجناس منسوب عندهم إلى السيرة العامة ومتصل بآداب المجون"[33].

إن المتتبع لكتاب زهر الشماريخ في علم التاريخ، يدرك الطريقة التي إعتمدها ابو راس في تنظيم مؤلفه، فهو لم يعتمد طريقة التبويب كما

كان الحال في كتابه – فتح الإله ومنته-الذي قسمه إلي أربع أبواب، ولا إلي أجزاء كما هو في كتاب– عجائب الأسفار ولطائف الأخبار وإنما قسمه إلي عناوين كل عنوان يبدأ بعبارة "الخبر عن "والتي بلغ عددها تسعة وخمسون عنوانا

وقد حاولت قدر الاستطاعة وضع فهرسة لمحتويات الكتاب، وذلك بجمع العناوين التي تحمل نفس الموضوع تارة، كما هو الحال بالنسبة للعناوين الخاصة بالعرب (العرب العاربة والعرب المستعربة وأيام العرب وحروبهم)، وتارة أخرى حسب المنطقة الجغرافية كالخبر عن البربر وزناته وظهور الكاملين بشمال إفريقيا. وسنشير إلي ذلك في عنوان خاص بفهرسة المواضيع التي تضمنها المخطوط.

كما سبقت الإشارة إليه، فإن الموضوعين الرئيسيين اللذين يتناولهما أبوا راس في مخطوطه هما:علم التاريخ والأنساب.ففيما يخص علم التاريخ الذي كان لأبي راس فيه باع طويلا خاصة في معرفة أخبار الأمم السابقة وأجناسها، والتاريخ الإقليمي عامة، وكان من بين المؤرخين الجزائريين في تلك الفترة الذين حملوا على عاتقهم مهمة إحياء علم التاريخ وبيان فائدته فيقول :"إن البحث عن علم التاريخ ممن تقدم شأن الأدباء الأفاضل من أولى بصيرته وقد اعتني به أهل كل طبقة وجهابذة كل ملة من صلحاء السلف وحذاق الخلف ... في كل عصر عصابة هم أهل إصابة فألفوا وأجادوا [34].

مثله مثل أحمد بن هطال الذي يعتبر هو الأخر من المدافعين عن علم التاريخ فيقول:" علم التاريخ من أجل العلوم قدرا وأكملها محاسن وفخرا، إذا به عرفت قدماء الأمم، وبه حفظت مكارم أخلاقهم والشيم "[35]، ويحذو الشيخ أحمد بن سحنون حذو هؤلاء العلماء، فيري أن العالم لا تكتمل فيه صفة العلم ما لم يحط بالتاريخ ويكتب فيه على

بينة مصححا أعماله بشرط الاعتماد على النقول الصحيحة والكتب السليمة[36].

وعليه فالتاريخ في نظر أبو راس مطلوب لفوائده، الغاية منه الاعتبار واستخلاص التجربة من الأولين.

-فهرس المواضيع التي تضمنها المخطوط

سبق وأن أشرنا إلي أن أبا راس لم يقسم كتابه إلى أبواب ولا إلى فصول، بل اكتفي بوضع عناوين، اجتهدنا في فهرستها على الشكل التالي :

أ-التمهيد: وفيه إشارة إلى ضرورة معرفة أخبار الأولين بالرجوع أولا إلى القرآن الكريم (القصص القرآني) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما توجد إشارة إلى الإطار الزماني لمحتوى الكتاب الذي يحدده أبو راس من بدء الخليقة إلى البعثة النبوية، وما يذكر خارج هذا الإطار إلا عن طريق الانجرار.

ب- المقدمة: وقد اشتملت على عنوان المخطوط، وتعريف علم التاريخ، مع ذكر دور النسب في المجتمعات انطلاقا من الأحاديث النبوية الشريفة.

ج- الفصول: - فصل خاص بالخبر عن العرب: ويتناول ذلك في موضعين مختلفين، فيذكر أولا العرب العاربة وسبب تسميتها بذلك، كون أن الله ألهمها اللسان العربي بلا تلقين أحد، فهي بمعنى الراسخة في العربية وأرضها جزيرة العرب، وهي خمسة أقسام.

القسم الأول: هم بنوا ارم بن سام، ومنهم بنوا عاد الأكبر بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام، موطنهم الأولى أحقاف الرمل.

القسم الثاني: هم بنوا لاوذ بن سام منهم طسم وجديس وديارهم أرض اليمامة إلى البحرين.

القسم الثالث: هم بنوا عيلام بن سام بن نوح عليه السلام وسكناهم العراق والفرس منهم.

القسم الرابع: وهم بنوا أشور بن سام بن نوح عليه السلام وموطنهم الموصل وما حوله.

القسم الخامس: وهم بنوا أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، منازلهم اليمن، ثم نزلوا الحجاز لقحط أصابهم.
كما يشير إلى أقسام العرب المستعربة وهي قسمان:

القسم الأول:قحطان ونسله، وهم من الجيل الأول أي العرب العاربة.

القسم الثاني:إسماعيل عليه السلام ونسله لقنوا اللغة العربية.

- **فصل خاص بالأنبياء :**منهم إبراهيم الخليل ويعقوب وسليمان عليهم السلام، وحديث عن حكام بني إسرائيل، وكيف جمع طالوت فرقتهم في ولايته بعدما ضيعوا الشريعة، فطمع فيهم من يجاورهم من الأمم وظلوا على ذلك الحال حتى وقعت بهم الفتنة العظيمة التي ليس مثلها فتنة ولا تقاربها محنة، وهي وقعة طيطش العظمى .

- **فصل خاص بالفرس:**ودولهم العظيمة وهم أربع طبقات:

-الطبقة الأولى وهي القشدانية، والطبقة الثانية وهي الكينية، والطبقة الثالثة وهي الأشغانية، والطبقة الرابعة وهي الساسانية التي صبحها الإسلام.نسبتهم إلى فارس بن كومرت بن سام، وقيل فارس بن إيران بن أشور بن سام، وهم من أعظم الأمم القديمة واسم المجوس واسم العجم لا ينصرف إلا لهم .

- فصل خاص بدول اليونان والروم واللطينيين(اللاتينيين):يوافق أبي راس المحققين من المؤرخين بأن نسب شعوب هذه الدول الثلاثة إلى يافث بن نوح عليه السلام، ويقال لهم العلوج، وأن الشعوب الثلاث من يونان اختصوا في السكن من الناحية الشمالية للأرض مع إخوانهم من سائر بني يافث كالصقالبة، والترك، والفرنج، وغيرهم .

- فصل خاص بالخبر عن ملوك الموصل ونينوى وبابل المذكورون في القرآن الكريم: وذكر فيه نسب ملوك الموصل أبناء عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، وأنه صار إلى الموصل بعدما هزمهم النمرود، وأن ملوك بابل هم النبط بنوا نبيط بن أشور بن سام بن نوح عليه السلام، وهم إخوان لهم.

- فصل خاص بالخبر عن ملوك التبابعة من حمير:ذكر فيه نسب ملوك التبابعة ومراكزهم بصنعاء، ولماذا سموا بالتبابعة مستندا برأي الزمخشري الذي يفسر كلمة التبابعة بقوله :يتبعون الأقيال ولا يسمي تبعا حتى يملك اليمن والشحر وحضر موت، وقيل حتى يتبعه بنوا جشم بن عبد شمس، ومن لم يكن له شيء من الأمرين السابقين يسمى ملكا أو قيلا فقط، ويقال لهم أيضا الأذواء.

- فصل خاص بالخبر عن ملك الحبشة لليمن وتأمير كسرى علي اليمن :يتناول فيه أبوا راس أوضاع اليمن بعد هزيمة آخر ملوكهم، وكيف اتخذا الحبشان بنات الملوك ذوات الحسب وصميم النسب جواري وسراري، خاصة في عهد أبرهة الذي أراد أن يصرف العرب عن حج البيت إلى كنيسة القليس التي بناها بصنعاء.

- فصل خاص بالبربر وزناته وظهور الكاملين من البربر: تعرض فيه إلى اختلاف المؤرخين والنسابين حول نسب البربر، لكن إتقانهم على

أنهم استوطنوا المغرب بعدما ساقهم أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة من أرض كنعان إلى افريقية، وأنهم انقسموا إلى قبائل تفرقوا في أنحاء المغرب، وأنهم يحملون نفس الصفات والخصائص العربية كالمروءة والشجاعة والاهتمام بالعلم ونصرة الحق.

- **فصل خاص بملوك الأندلس:** ذكر فيه نسب سكان الأندلس الذين يعودون إلى أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام، والذين سكنوا المنطقة إلى حين مجيء أشبان بن طيطش الرومي الذي فتك ببني إسرائيل، ثم يتعرض إلى الشعوب التي سكنت المنطقة كالإغريق من الروم، فالغوط، فالمسلمين الفاتحين بقيادة طارق بن زياد في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة اثنين وتسعين من الهجرة[37].

- **فصل خاص بالسودان:** يتناول فيه موقع بلاد السودان بمنطقة إفريقيا، وأنهم فرق ينتسبون إلى حام بن نوح عليه السلام، وأنهم اعتنقوا الإسلام، وخرج منهم علماء كالشيخ عبد القادر، والشيخ أحمد بابا التمبكتي، والشيخ بقيع المجدد في القرن العاشر الهجري.

- **فصل خاص بالخبر عن الحكمة والمؤرخين والسحرة وعمن تولى الملك من النساء وملوك الجاهلية وأعاجيب البناء فيما قبل الإسلام:**

تناول فيه المؤلف شيوع الحكمة لدى اليونانيين بسبب حب ملوكهم لها، على أن رأس الحكمة لقمان الذي أخبر القرآن الكريم بحكمته. كما تناول أصل السحر الذي يرجعه إلى بابل، ثم تعلمته الشعوب، وكان بمصر سبعون ألف ساحر ومن مهرتهم السحرة الذين عارضوا موسى عليه السلام.كما تناول من تولى من النساء الحكم في أزمنة مختلفة ومناطق متعددة، ومنهن بوران الفارسية التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم:" لن يفلح قوم ولوا رأيهم لامرأة"[38]، وقبلها الملكة

الصالحة بلقيس بنت شرحبيل الحميرية، وهي صاحبة العرش المذكور في سورة النمل. ثم يعرض بعض أعاجيب البناء فيما قبل الإسلام، أشهرها سد ذي القرنين المبني بزبر الحديد، والأهرام بمصر، وكلها من أوابد الدنيا، كما قال صاحب اللباب.

يذكر أيضا ملوك الجاهلية العظام، والأبيات الشعرية التي أوردها صاحب اللباب تبين أشهرهم:

ـ ألم يروك ملك الله طرا لخمسةٍ في الأرض ممترين

شبع و النجـ اشي وخان وكسرى وقيصر غير قول المـ ـمترين[39]

- فصل خاص بالخبر عن الأديان في الجاهلية: يعرض المؤلف أولى العبادات التي مورست قبل الإسلام، حيث كانت الأمم تصور إليها من واقعها المعاش، كتصوير العاشق لمحبوبته في عظم عاج وأخذها معه يتأنس بها إلى أن رقاهم الشيطان إلى تصور صورة إله، كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام" يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا"[40]، ولذلك عبدت الأمم الأصنام، والكواكب كالشمس والقمر والحجر والبقر...وكل هذه العبادات أبطلها الإسلام. وصورة الأعرابي الذي كان يتعبد بصنم أصدق مثال، حيث أتاه يوما فوجد ثعلب يبول عليه، فتغير ورجع إلى بيته وهو ينشد:

ـ أرب يبول الثعلبان برأسه ـ لقد ذل من بالت عليه الثعالب[41].

الخاتمة

لم يوردها أبو راس الناصري بالمعنى المتعارف عليه كما في باقي المؤلفات، وإن عمد بعد نهاية كل عنوان إلى ختمه بخاتمة أو تتمة، مثل ما ساقه عند حديثه عن أيام العرب وأيام حروبهم لبعض

الصفات الشنيعة التي لم تعرفها العرب على جاهليتهم كالزنى، وهو يريد بذلك الإشارة إلى حرص العرب على صفاء ونقاء الأنساب، وبقائها محفوظة على صفة أبائها.

-مصادر أبي راس في إنجاز مؤلفه

من خلال تتبعي لهذا الكتاب بكثير من التفحص والتمعن لجميع موضوعاته ومسائله، ومع استقصائي لمختلف عناوينه، تبين لي أن أبا راس إعتمد في مؤلفه "زهر الشماريخ في علم التاريخ" على جملة من المصادر المختلفة والمتنوعة وذات الأهمية التاريخية والعلمية الكبيرة، والذي يرعى إنتباهنا من هذه المصادر ما كان له علاقة بالتاريخ مباشرة، أو على صلة به. وعليه هناك من المصادر ما أثبته المؤلف بأنه إعتمد عليه، إما بذكر مؤلفه أو ذكر النص، أو بذكر المصدر أثناء النقل عنه، أو بذكر المؤلف من غير العزو إلى كتابه، وهناك من المصادر التي لم يثبتها لا بذكرها ولا بذكر مؤلفيها مكتفيا بالنقل، لكن عن طريق المقارنة ومن خلال الدراسة استطعنا أن نصل إلى بعضها لوجود تقارب كبير بين النص المنقول والمنقول عنه.

وتماشيا مع هذه الكيفية التي إعتمدها أبو راس في إدراج مصادره، عمد إلى ذكر الكتاب تارة مثل قوله: وحواشي الشرح الكبرى ص72 وهي حالات قليلة، أو بالإفصاح عن إسم المؤلف تارة أخرى دون الإشارة إلى كتابه، أو يكون قد أشار إليه مرة فلا يكرره مرات، وكأنه يحيل إلى الكتاب، والأمثلة هنا كثيرة كقوله: قال ابن خلدون ص14، ولابن عساكر ص67، قال شهاب الدين الخفاجي ص40.

كم أنه في مواضع أخرى يشير إليها معا مثل قوله: وفي الشبراملسي على المواهب اللدنية ص14، وقوله: وفي حسن المحاضرة للسيوطي ص34، وقوله أيضا: وقال ابن الخطيب السلماني في كتابه رقم الحلل

في نظم الدول ص158، وقد يتناول عنوانا كاملا باسم عنوان الكتاب مثل: كتاب نيل الإرب في تفضيل العرب من حسب ونسب لابن قتيبة ص175، وكتاب وافية الأعيان في أخبار أنباء أبناء الزمان لابن خلكان ص198، وفي مواضع أخرى يكتفي ببعض الإشارات كقوله: وفي بعض الروايات ص68.

وبلغة الأرقام نجد أبو راس اعتمد على أربع وخمسين مصدرا، تنوعت بين المصادر التاريخية، ومصادر التراجم والأنساب، ومصادر فقهية، ومصادر لغوية، بالإضافة إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال والحكم وخاصة الأشعار التي مست جميع العصور (العصر الجاهلي، صدر الإسلام، العصر الأموي، العصر العباسي، عصر الضعف). وسأذكر بعض المصادر وعدد المرات المستعملة على سبيل المثال لا الحصر: ابن خلدون اثنان وخمسين مرة، شهاب الدين الخفاجي ثلاثون مرة، الطبري أربع عشرة مرة، القسطلاني إحدى عشرة مرة، السيوطي تسع مرات، ابن الكلبي تسع مرات وصحيح البخاري ثمان مرات.

وعلى هذا الأساس نجده يحترم جهود الآخرين، ويعترف بفضلهم، ويأخذ بآرائهم، لأن هدفه من هذا المؤلف تقريب الفكرة، وتيسير الفهم وتبسيط الموضوع. ونظرا لتنوع المعارف واتساع المعلومات ودقتها التي ميزت كتاب – زهر الشماريخ في علم التاريخ –لأبي راس الناصري فإنه يفسح المجال واسعا لتعدد مصادره، الشيء الذي أضفى على كتابه مسحة علمية جادة في توظيفه للحصيلة العلمية باعترافه لجهود السابقين.

الهوامش

1-أبوراس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق وضبط وتعليق محمد عبد الكريم، لمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص:.25

2-أبوراس الناصري، مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ، ص:.03

3-أبوراس الناصري، فتح الإله...المصدر السابق، ص:.173

4-نفسه، ص:.27

5-نفسه، ص:.156

6-محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم:محمد رؤوف القاسمي الحسني، ج1، موفم للنشر، الجزائر، ص:167-.168

7-أبوراس الناصري، المصدر السابق، ص:.19

8-نفسه، ص:.21

9-مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص:.80

10-العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم3326، ونسخة منه بخزانة الشيخ محمودي البشير، ص:.20

11-أبوراس الناصري، المصدر السابق، ص:.101

12-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص:.89

13-من العادات المألوفة لدى الكتاب العرب تأليف ثلاثة شروح على الكتاب الواحد وذلك انه يتناول كل فقرة بعد الأخرى ويوردها كاملة ويوضحها جزءا بعد جزء للنص الأصلي.ولعل أبو راس يكون قد اقتبس ذلك من الفيلسوف ابن رشد، والذي بدوره يكون قد اقتبسه من مفسري القرآن الكريم، هذا المنهاج في العرض الحرفي، حيث يفرق بين ما هو خاص بالمؤلف وماهو خاص بالشارح.ينظر:ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، نقله إلى العربية:عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1957، ص:73-.74

14- أغناطيوس كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله الى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الثاني، ص:.768

15-ناصرالدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي"تراجم مؤرخي ورحالة وجغرافيين"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص:461-.462

16-ما لاحظناه خلال دراستنا هو كل مخطوطات أبي راس الناصري كتبت بخط مغربي، أي أنها لم تتجاوز الحيز الجغرافي للمغرب العربي، وأقتصر وجود مخطوطات أبي راس على ثلاثة دول هي الجزائر، تونس، المغرب الأقصى خصوصا، ينظر:عبد القادر أوقاسي، مخطوطات أبي راس المعسكري بالمكتبة الوطنية الجزائرية" ملتقى أبي راس الناصري المعسكري" معسكر 6-7 رجب1419هـ/ 27-28 أكتوبر.1998

17-أبوراس الناصري، زهر الشماريخ....المصدر السابق، ص:.01

18-نفسه، ص:.02

19-أبوراس الناصري، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى، مخطوط بمكتبة البلدية بمعسكر، (دون رقم)، ص: من المقدمة.

20-نفسه، من المقدمة.

21-أبوراس الناصري، زهر الشماريخ....المصدر السابق، ص:.202

22-أبوراس الناصري، فتح الإله.....المصدر السابق، ص:.180

23-بلهاشمي بن بكار، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، ط1، تلمسان(الجزائر)، 1969، ص:.13

24-من الكتاب الذين أثبتوا نسبة مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ لأبي راس الناصري:محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ص:341، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص:146 -147، وعادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ج2، ص:487، عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص:48-50، ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي في المغرب الاسلامي "تراجم مؤرخي ورحالة وجغرافيين"، ص:460-465، يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ص:240، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(ق16-ق20م)، ص:390-395، محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب-الفترة المعاصرة-ص:.42

25-أبو راس الناصري، زهر الشماريخ.....المصدر السابق، ص:.54

26-عمارة كحلي، كتابة مالك حداد من منظور جمالية التلقي، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1999-2000، ص:.187

27-المنجد في اللغة والأعلام، ص:.401

28-أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص:.04

29-نفسه، ص:.04

30- نفسه، ص:.03

31-نفسه، ص:.03

32-حسين الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار(الرحلة الورتلانية)، تحقيق ونشر: محمد بن شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص:من المقدمة.

33-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص:.331

34-أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم3327، ص: من المقدمة.

35-أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير"باي الغرب الجزائري" الى الجنوب الصحراوي، تحقيق وتقديم:محمد بن عبد الكريم، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص:.11

36- أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم:المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة(الجزائر)، 1973، ص:من المقدمة.

37-حسين مؤنس، فجر الأندلس –دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي الى قيام الدولة الأموية(711-756م)، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، جدة، 1985، ص:.522

38- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أخرجه وراجعه: تقي الدين الخطيب، دار الريان للتراث، 1986.

39-للمزيد من المعلومات حول هذه القصيدة، ينظر:كتاب عبد الغني الميداني الحنفي، اللباب في شرح الكتاب، تحقيق:محمود أمين النواوي، منشورات المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

40- سورة مريم، الآية .44

41- ينظر عبد الله الهروي، منازل السائرين، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988.